ثانيا: دورالسلاطين والأمراء السنيين في انتشار المذهب الشافعي في اليمن

تمهيد:

لقد كان لبعض الملوك والسلاطين والأمراء السنيين دور بارز في انتشار المذهب الشافعي في بلاد اليمن، فكانوا كالحصن الحصين والملاذ الأمين للقضاة والفقهاء والدعاة السنيين لحماية معتقدهم. ولأن موضوع دراستنا هو المذهب الشافعي في اليمن من القرن الرابع إلى القرن السابع الهجري/ القرن العاشر إلى القرن الثالث عشر الميلادي، فليس ثمة مسوغ للتوسع الكبير في دراسة الأوضاع السياسية للدول السنية في اليمن في هذه المرحلة، ولكن نكتفي بالإشارة إلى الدور الذي لعبه بعض الملوك والأمراء في مساعدة انتشار المذهب في اليمن، ومن هذه الدول:

١- دولة بني زياد (٢٠٤-٤٠٧ هـ/ ٨١٩-١٠١٦م).

٢- دولة بني نجاح (٤١٢-٥٥٤هـ/ ١٠٢١-١١٥٩م).

١- دولة بني زياد (٢٠٤-٤٠٧ هـ/ ٨١٩-١٠١٦م):

لما صار الأمر إلى الخليفة العباسي المأمون (ت ٢١٨ هـ/ ٨٣٣م)، كان الإقليم اليمني واحدًا من الأقاليم التي شهدت انتفاضة العلويين على السلطة[١]، فوجه المأمون الحملات العسكرية الواحدة تلو الأخرى للقضاء

(١) الخزرجي، شمس الدين أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن، =

على تلك الانتفاضات، وعندما بلغه خروج الأشاعر وعكّ من أهل تهامة عن الطاعة ولزوم الجماعة، سيّر المأمون رجلاً اختلف المؤرخون في اسمه ونسبه فقيل: إن اسمه محمد ابن إبراهيم(١) بن عبدالله بن زياد بن معاوية(٢)، وقلده الأعمال التهامية وما استولي عليه من الجبال من أرض اليمن (٣).

= العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، ط٢، الجمهورية العربية اليمنية (سابقًا)، وزارة الأعلام والثقافة، مشروع الكتاب، ٦/ ١، دار الفكر، دمشق ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، طبعة مصورة من مخطوط، ص٩٦، والحداد، محمد بن يحيى، تاريخ اليمن السياسي، ج٢، ص ٤٠.

(١) لقد اضطربت الآراء حول اسم ابن زياد، حيث ذكره بهذا الاسم العبدلي، أحمد فضل بن علي بن محسن، هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، ط٢، دار العودة، بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩ م، ص٥٢.

(٢) يقال: إن اسمه محمد بن (فلان) بن عبيد الله بن زياد بن معاوية؛ عمارة، نجم الدين عمارة بن علي (ت٥٦٩هـ/ ١١٧٣م)، تاريخ اليمن، المسمى " المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها"، ط٣، تح: محمد بن علي الأكوع، المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء ١٩٨٥م، ص٤٧، وابن المجاور، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد ابن المجاور الشيباني الدمشقي، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة "تاريخ المستبصر"، ط٢، تح: اوسكر لوفغرن، منشورات المدينة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ص٦٦؛ ويقال إن اسمه: عبدالله بن زياد بن معاوية بن مروان بن أمية، والوصابي، وجيه الدين الحبيشي (ت٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م)، تاريخ وصاب الاعتبار في التواريخ والآثار، تح: عبدالله محمد الحبشي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء ١٩٧٩م، ص ٢١، وبامخرمة، أبو محمد عبدالله الطيب بن عبدالله بن أحمد بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، مع نخب من تواريخ ابن المجاور والجندي والأهدل، ج٢، ط٢، منشورات المدينة، صنعاء، دار التنوير، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ج ٢، ص ٢١٥-٢١٦، والكبسي، محمد ابن إسماعيل الكبسي الصنعاني (ت ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م)، اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، مطبعة السعادة، القاهره، د.ن ص٩؛ ويقال إن اسمه: عبدالله بن زياد، كما جاء عند يحيى بن الحسين، غاية الأماني، ج١، ص ١٥٠.

(٣) ابن عبدالمجيد، تاج الدين عبدالباقي اليماني (ت ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م)، بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تح: عبدالله محمد الحبشي ومحمد أحمد السنباني، دار الحكمه اليمانية، صنعاء ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٣٨.

قدم ابن زياد إلى اليمن سنة٢٠٣هـ/ ٨١٨م، ومعه رجل ينتسب إلى سليمان بن هشام بن عبدا لملك بن مروان، ومن ذريته الوزراء[١] ومعه أيضًا رجل آخر يسمى محمد بن هارون التغلبي قاضيًا ومفتيًا على الأعمال[٢].

فتح ابن زياد تهامة بعد حروب جرت بينه وبين أهلها حتى طاعه أهل اليمن[٣]، واستطاع أن يؤسس أول حكومة مستقلة في إقليم اليمن، هي الدولة الزيادية (٢٠٤-٤١٢ هـ/ ٨١٩-١٠٢١م).

اختط ابن زياد مدينة زبيد سنة ٢٠٤ هـ[٤]/ ٨١٩م، فاتخذها حاضرةً

(١) من ذرية سليمان بن هشام في اليمن الوزراء منهم الوزير خلف بن أبي الطاهر، وزير جياش بن نجاح. الآتي ذكره لاحقًا؛ الجندي، السلوك، ج١، ص٢١، وابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص٦٦؛ الكبسي، اللطائف، ص٩ .

(٢) التغلبي، محمد بن هارون، كان من ذريته الفقهاء؛ وهو جد الفقهاء المعروفين ببني عقامة؛ الجندي، السلوك، ج١، ص ٢٢١، والرسولي، الملك الأفضل عباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول، كتاب في العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية، تح: عبدالواحد عبدالله أحمد الخامري، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص٥٤١؛ ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص٦٦؛ الكبسي، اللطائف، ص٩ .

(٣) عمارة، المفيد، ص٥٠-٥١، والخزرجي، العسجد، ص٩٧، وابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص٦٦، والوصابي، الاعتبار، ص ٢١، وابن الديبع، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تح: عبدالله محمد الحبشي، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء ١٩٧٩م، ص٣٩، ويحيى بن الحسين، غاية الأماني، ج١، ص١٥١؛، ص٢١٦ .

(٤) عمارة، المفيد ص ٥١، والجندي، السلوك، ج١، ص ٢٢١، والخزرجي، العسجد، ص٩٧، والوصابي، الاعتبار، ص ٢٢، ويحيى بن الحسين، غاية الأماني، ج ١، ص ١٥١، وبامخرمه، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص٢١٦، والكبسي، اللطائف السنية، ١٠، والحضرمي، عبدالرحمن بن عبدالله (١٣٥٢-١٤١٤هـ/ ١٩٣٣-١٩٩٣م)، زبيد، مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية بصنعاء، المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، دمشق ٢٠٠٠م =

لولايته، وفي هذا التاريخ مات الإمام الشافعي بمصر، وكان سني المذهب كما كان أهل اليمن في هذه الفترة، وكان مع بن زياد عند دخوله زبيد مولى له يسمى جعفر وهو الذي ينتسب إليه مخلاف جعفر[١] وهذا مما يؤكد على أن ابن زياد ومولاه جعفر عملا معًا على دعم المذاهب السنية.

امتد نفوذ ابن زياد إلى حضرموت وديار كندة والشحر ومرابط ولحج وعدن والتهائم إلى حُلَي والجند وأعماله ومخلاف المعافر ومخلاف جعفر وصنعاء وصعده ونجران وبيحان، بل امتد شمالاً إلى مناطق قريبة من مكة[٢]، ومات ابن زياد سنة ٢٤٥هـ[٣]/ ٨٥٩م، وفي هذه المرحلة من التاريخ ظهر المذهب الشافعي مع ظهور هذه الدولة، فمن المرجح أن ابن زياد ومن أتى معه كانوا على المذهب الشافعي أو يميلون إليه ؛لأن أهل اليمن قبل مجيء ابن زياد كانوا يتمذهبون بمذهب الإمام مالك، ومذهب

= ص ٣٠، والفقي، اليمن، ص ٨٨؛ وقد وهم د. عبدالرحمن الشجاع عندما **فقال**: إن نشأة دولة بني زياد ليس في العام المذكور آنفًا وإنما كان نشأتها في سنة (٣٠٤هـ/ ٩١٦م)؛ تاريخ اليمن في الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ط٥، دار الفكر المعاصر، صنعاء١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص١٨٦-١٩٠؛ اليمن في عيون الرحالة، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق١٤١٣هـ/ ١٩٩٦م، ص٦٦-٨٢ .

(١) جعفر مولى ابن زياد، فقد قلده ابن زياد الجبال فاختط بها مدينة يقال لها المذيخرة والبلاد التي كان بها جعفر تنتسب إليه فسمى مخلاف جعفر؛ عمارة، المفيد، ص ٥٢-٥٣، والخزرجي، العسجد، ص٩٧؛ ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص٦٧.

(٢) عمارة، المفيد، ص ٥٤، وابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص٦٧، والكبسي، اللطائف، ص١١، والحضرمي، جامع الأشاعر، زبيد، الشركة اليمنية للطباعة والنشر، صنعاء ١٩٧٤م، ص٢٢.

(٣) الخزرجي، العسجد، ص٩٨، ويحيى بن الحسين، غاية الأماني، ج١، ص١٥٨.

الإمام أبي حنيفة النعمان ثم تقلص المذهبان بعد ذلك[١].

"ظل أمراء اليمن من بني زياد طوال سني حكمهم موالين للخلافة العباسية من الناحية الاسمية، ويحكمون البلاد باسم الخليفة العباسي، ويظهرون ولاءهم وطاعتهم له، فيذكرون اسم الخليفة في الخطبة، وينقشونه على السكة"[٢].

بعد أن توفي ابن زياد خلفه ابنه إبراهيم بن محمد الذي حكم من سنة ٢٤٥- ٢٨٩هـ/ ٨٥٩-٩٠١م، **ولم تكن** له مآثر تذكر على الرغم من أنه حكم مدة ٤٤ عامًا. وبعد ذلك خلفه ابنه زياد بن إبراهيم الذي لم يدم حكمه طويلاً، ثم خلفه أخوه إسحاق ابن إبراهيم الملقب بأبي الجيش، وكانت فترة ولايته حوالي ٨٠ عامًا[٣]، ضعفت الدوله في أيامه وخرجت من ولايته أكثر المناطق التي كان يسيطر عليها أسلافه، وتنازعت القوى المختلفة على الحكم، والسيطرة على بلاد اليمن [٤]، فكان خصومه الذين انفصلوا عنه، أكثر منه خبرةً وتمرسًا على السياسة والدهاء والمكر والخديعة

(١) السروري، محمد عبده محمد، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة من (٤٢٩-٦٢٦هـ/ ١٠٣٧-١٢٢٨م)، صنعاء ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص٦٣٥ .

(٢) الفقي، اليمن، ص٨٩-٩٠.

(٣) عمارة المفيد، ص٥٤، وابن عبدالمجيد، بهجة الزمن، ص٣٨، والخزرجي، العسجد، ص٩٨، والوصابي، الاعتبار، ص ٢٢، ويحيى بن الحسين، غاية الأماني، ج، ١، ص ١٨٩.

(٤) عمارة، المفيد ص٥٥-٦٤، وابن عبدالمجيد، بهجة الزمن، ص٣٩، والخزرجي، العسجد، ص٩٩، والوصابي، الاعتبار، ص ٢٥-٢٧، ويحيى بن الحسين، غاية الأماني، ج، ١ ص ١٨٩.

وقوة التأثير في عامة الناس، بينما كان أبو الجيش صغير السن عندما تولى قيادة البلاد، ولم تكن له خبرة في السياسة، فيقال: إنه ولد سنة**٢٨٠**هـ[١]/ **٨٩٣**م وتقلد السلطة بعد وفاة أخيه الذي لم تطل فترة حكمه، فكان من البدهي أن يكون ضعيف الجانب غير قادر على تسيير أمور البلاد بشكل سليم. يقال: إنه توفي سنة **٣٩١**هـ[٢]/ **١٠٠٠**م، حسب رواية عمارة **ووافقه** في هذه الرواية ابن عبدالمجيد، وابن الديبع، ويحيى بن الحسين، بينما يرى الخزرجي والوصابي أنه توفي سنة**٣٧١**هـ[٣]/ **١٩٨١**م؛ **وخالفهم** عبدالرحمن الحضرمي، الذي يرى أن أبا الجيش توفي سنة **٣٧٣**هـ[٤]/ **١٩٨٣**م.

يرى الباحث أن أقرب الراويات وأرجحها هي رواية الوصابي، **أما** عمارة ومن تبعه فقد حادوا عن الصواب ووقعوا في اللبس، فإذا كان أبو الجيش حكم بعد أخيه زياد الذي توفي بعد وفاة والده الذي توفي سنة **٢٨٩**هـ/ **٩٠١**م، فيبدوا أن حكم أبي الجيش كان من سنة **٢٩١**- **٣٧١** هـ/ **٩٠٢**-**٩٨١**م فحكم فترة طويلة حوالي **٨٠** سنة، ومع ذلك كان أبو الجيش سني المذهب فساعد على أنتشار المذهب الشافعي حيث ظهر علماء وفقهاء في فترة حكمه، فكان يوليهم أمور القضاء في دولته، كأمثال: أبي الحسن المغيرة بن عمرو بن الوليد العدني، وموسى بن عمران بن محمد الخداشي[٥].

---

(١) الوصابي، الاعتبار، ص٢٥.
(٢) عمارة، المفيد، ص ٦٥، ابن عبدالمجيد، بهجة الزمن، ص٢٩؛ ابن الديبع، بغية المستفيد، ص٤٠؛ يحيى بن الحسين غاية الأماني، ج١، ص١٨٩ .
(٣) الخزرجي، العسجد، ص٩٩؛ الوصابي، الاعتبار، ص٢٧.
(٤) الحضرمي، عبدالرحمن بن عبدالله، زبيد، ص٣١.
(٥) الجندي، السلوك، ج١، ص٢٤٩.

لما مات أبو الجيش لم يكن له وريث يرث الحكم إلا طفلٌ صغير، اختلفت الروايات في اسمه، فيقال: إن اسمه عبدالله[١] وقيل: إبراهيم[٢] وقيل: زياد وهو الأرجح، وكانت له بنت اسمها هند وهي التي كفلت أخاها، وكان معهم عبد حبشي من عبيد أبيهما اسمه رشيد هو الذي تولى الوصاية على الطفل الصغير، وكان مع رشيد هذا وصيف يدعى الحسين بن سلامة من أولاد النوبة ينتسب إلى أمه، فلما مات مولاه رشيد وزر لولد أبي الجيش ولأخته هند بنت أبي الجيش، وكان الحسين بن سلامة عادلاً حاسمًا كثير الصدقات، فعندما تولي الوصاية على الطفل كانت دولة بني زياد قد تفككت أطرافها، وخرجت عن طاعة الدولة الزيادية إلا من الناحية الاسمية فقام بإحياء هذه الدولة، وقصد المتغلبين على الأطراف فأخضعهم حتى دانوا له وحملوا إليه الخراج، فانتظم له الأمر وأعاد لهذه الدولة هيبتها ومجدها الذي كان قد ضاع منها أيام حكامها **الضعفاء** [٣].

و**لابن سلامة** مآثر كثيرة في اليمن تبلغ المجلدات، سيكتفي الباحث بذكر جزء منها، حيث قام بعمارة مدينة الكدراء على وادي سهام، ومدينة المعقر على وادي ذؤال، وهو أول من أدار السور على مدينة زبيد وجدد عمارة الجامع بعدن ووسع جامع الجند، وبنى الجوامع في صنعاء وذي

---

(١) عمارة، المفيد، قال: "إنه عبدالله وقيل إبراهيم، وقيل زياد"، ص ٦٥، والوصابي، الاعتبار، قال: "اسمه عبدالله، وقيل زياد "، ص٣١؛ ابن عبدالمجيد، بهجة الزمن، قال: " اسمه إبراهيم وقيل زياد "، ص ٣٩ .

(٢) يحيى بن الحسين، غاية الأماني، قال " اسمه إبراهيم وقيل زياد"، ج ١، ص ٢٣٢.

(٣) الخزرجي، العسجد، ص٩٩ .

أشرق والجؤة، فبنى في كل مرحلة جامع، وشق الطرقات وحفر الآبار[١]، قال عمارة: "من محاسنه أنه أنشأ الجوامع الكبار والمنارات الطوال من حضرموت إلى مكة وحفر الآبار"[٢] أي أن البلاد كانت خاضعة له من حضرموت إلى مكة.

ساعد الحسين بن سلامة على انتشار المذهب الشافعي ببنائه للجوامع، وحبه للعلم والعلماء، وتقربه، فازدهر المذهب وانتشر في عهده وكان هناك علماء أجلاء قد نشطوا في فترة حكم الحسين بن سلامة.

توفي الحسين سنة ٤٠٢هـ/ ١٠١١م، وكانت مدة ملكه حوالي ٣٠ سنة[٣].

عندما مات الحسين بن سلامة انتقل الملك إلى طفل من آل زياد[٤]، يرى الباحث انه ابن زياد ابن أبي الجيش الذي كفلته أخته هند بنت أبي الجيش ومولاه رشيد ثم الحسين بن سلامة، كما يرجح الباحث أن اسم هذا الطفل إبراهيم[٥] والتي كفلته عمته هند التي كفلت أباه سابقا، وكان الوصي عليه عبدًا حبشيًا اسمه مرجان من عبيد الحسين بن سلامة، وكان مع مرجان

---

(١) ابن عبدالمجيد، بهجة الزمن، ص ٣٩، والوصابي، الاعتبار، ص ٢٧، وابن الديبع، بغية المستفيد، ص٤٠-٤١؛ ابن الديبع، قرة العيون، هامش، ص٢٣٢-٢٣٥، ويحيى بن الحسين، غاية الأماني، ج١، ص ٢٣٢، والزوكلي، خير الدين، الأعلام، ج٢، ط٩، دار العلم للملايين، بيروت١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ص٢٣٨

(٢) عمارة، المفيد، ص ٦٧.

(٣) عمارة، المفيد، ص ٦٦، وابن عبدالمجيد، بهجة الزمن، ص ٤٠، والوصابي، الاعتبار، ص ٢٨، وابن الديبع، بغية المستفيد، ص ٤٢؛ قرة العيون، ص ٢٣٥، ويحيى ابن الحسين، غاية الأماني، ج١، ص ٢٣٣، والزر كلي، الأعلام ج١، ص ٢٣٨.

(٤) قيل اسمه عبدالله؛ عمارة، المفيد، ص ٧٥، وابن عبدالمجيد، بهجة الزمن، ص٧١، وابن الديبع، بغية المستفيد، ص٤٢.

(٥) قيل اسمه إبراهيم؛ عمارة، المفيد، حيث ذكره بقوله: "انتقل الأمر بعد ذلك إلى طفل من آل زياد؛ لا اعرف اسمه؛ أظنه عبدالله أو إبراهيم "، ص ٧٥، والوصابي، الاعتبار، ص٢٩.

عبدان حبشيان رباهما من الصغر وولاهما في الكبر، أحدهما يدعى نفيسًا والآخر يدعي نجاحًا فوقع التنافس بينهما حتى اقتتلا فيما بينهما، فكان مولاهما مرجان يميل إلى نفيس، وكانت عمة ابن زياد تميل إلى نجاح، فاكتشف نفيس إن هند بنت أبي جيش تكاتب نجاح، فشكا ذلك إلى مولاه مرجان، فقبض عليهما وعلى ابن أخيه وسلمهما إلى نفيس، فوضعهما داخل جدار في القصر ثم بنى عليهما، فلما علم نجاح بذلك سارع بجيش، وتقاتل مع مولاه مرجان ونفيس، وقتل نفيسًا وقبض على مولاه مرجان، فأخرج ابن زياد وعمته من داخل الجدار ثم صلى عليهما ودفنهما في المقبرة، وأدخل مرجان ونفيسًا مكانهما، وانتهت بذلك دولة بني زياد بانتهاء هذا الطفل وعمته، ثم انتقلت إلى عبيد عبيدهم فيكون قيام دولة ابن زياد باليمن نحو سنة ٢٠٣هـ/ ٨١٨م لأنهم اختطوا زبيد سنة ٢٠٤هـ/ ٨١٩م وزالت عنهم سنة ٤٠٧هـ[١]/ ١٠١٦م.

قام سلاطين دولة بني زياد وأمراؤها بحماية السنة في اليمن، ففي عهد هذه الدولة ظهرت أفكار وعقائد تخالف عقائد وآراء أهل السنة والجماعة: منها الدعوة الشيعية المتمثلة بالإسماعليه والقرامطة والزيدية، فكان هؤلاء الحكام يتصدون لهذه العقائد، وكانوا يشجعون العلماء والفقهاء وطلاب العلم في نشر المذاهب السنية في جميع مناطق اليمن، فمن هنا ازدهرت المذاهب السنية وخصوصًا المذهب الشافعي في اليمن، فكان للحكام دور في انتشار هذه المذاهب. "كما وجدوا في علماء زبيد وشيوخهم وفقهائهم

(١) عمارة، المفيد، ص ٧٥ -٧٧، وابن عبدالمجيد، بهجة الزمن، ص ٤٠ -٤١، وابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص٧١، والوصابي، الاعتبار، ص ٢٩- ٣٠، وابن الديبع، بغية المستفيد، ص ٤٢.

خير مدافع عن عقائدهم، وخير من يستطيع دحض آراء الإسماعليه ومعارضة آراء الزيدية "[١].

٢- دولة بني نجاح (٤١٢-٥٥٤هـ/ ١٠٢١- ١١٥٩م):

بدأت هذه الدولة على يد الأميرالمؤيد نصير الدين نجاح؛ الذي استطاع أن يقضي على منافسيه من عبيد بني زياد سنة **٤١٢**هـ/ **١٠٢١**م، حيث كان نجاح قوي الجانب متمسكًا بعقيدته السنية، وتسلم مقاليد الحكم بعد أن اعترف بالسيادة العباسية، **وواصلهم** بالهدايا والأموال، فكاتبوه بالاستنابة عنهم في بلاد اليمن، ولقبوه بالمؤيد، ولقبوه أيضًا بنصير الدين، وفوضوا إليه الأمورفيها وتولية القضاة لمن يراه أهلاً لذلك[٢]، فملك نجاح معظم مناطق اليمن، كما أكد ذلك الوصابي فقال: "فملك تهامة وأعمالها إلى عدن وكانت ملوك الجبال تعظم دولته وتخاف سطوته وركب المظلة[٣] وضرب السكة باسمه" [٤].

وعندما ظهر علي بن محمد الصليحي[٥] كان يهاب نجاح؛ فأخذ يكاتبه

---

(١) الفقي، اليمن، ص٩٧. (٢) ابن الديبع، بغية المستفيد، ص٤٥.

(٣) المظلة: "هي قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب؛ على أعلاها طائر من فضة مطلية بالذهب، تحمل على رأسه في العيدين"؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٦-٧.

(٤) الاعتبار، ص٣٠.

(٥) الصليحي، كان من أبرز ملوك بلاد اليمن في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، ويرجع نسبه إلى قبيلة همدان؛ الباخرزي، علي بن الحسين (ت ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م)، دمية القصر وعصرة أهل العصر، ج١، تح: محمد التونجي، بدون بلد نشر، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ص٥١-٥٢، والعماد الأصبهاني (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)، جريدة القصر (قسم شعراء بلاد الشام)، ج٣، تح: شكري فيصل، المطبعة =

ويلاطفه ويعمل له الحيلة للتخلص منه، فقام الصليحي بإهداء جارية حسناء إلى نجاح فاستطاعت أن تتحايل على نجاح وتضع له السم في الطعام كما اتفقت مع الصليحي، فكانت نهايته بتلك الصورة، وذلك سنة ٤٥٢هـ/ ١٠٦٠م[١]، فكانت فترة حكمه حوالي ٤٠ سنة. وخلّف نجاح أولادًا أشداء هم: معارك، وسعيد الأحول، وجياش، والذخيرة، ومنصور. فالأول اختلفت الروايات في مقتله، فقيل: إنه قتل نفسه[٢]، وقيل: إنه قتل خلال غزو الصليحي لزبيد[٣] وهو الراجح، أما سعيد الأحول وجياش فقد هربا إلى جزيرة دهلك[٤] عندما دخل الصليحي إلى زبيد بعد مقتل أبيهم في العام المذكور سابقًا.

ومن هذه الجزيرة ظل أبناء نجاح يعدون العدة لاستعادة ملك أبيهم ويراقبون عن كثب تحركات الصليحي، ثم حانت الفرصة حين عزم الصليحي على أداء فريضة الحج مع أخيه عبدالله وجميع أسرته رجالاً

= الهاشمية، دمشق ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، ص٢٢٥؛ الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني (ت ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م)، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج٥، تح: محمد عبدالقادر وأحمد عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص٣٠٠- ٣٠٤.

(١) عمارة، المفيد، ص٩٨، والخزرجي، العسجد، ص١٠٥، والوصابي، الاعتبار، ص٤٧، وابن الديبع، بغية المستفيد، ص٤٦، والحضرمي، زبيد، ص٣٢.

(٢) الوصابي، الاعتبار، ص ٤٧، وابن الديبع، بغية المستفيد، ص ٤٦.

(٣) الحضرمي، زبيد ص ٣٣.

(٤) جزيرة دهلك: بفتح أوله، وسكون ثانيه، ولام مفتوحه، وآخره كاف، وهي جزيرة في البحر الأحمر تقع بين اليمن والحبشة وهي تابعة لليمن، بلدة حارة كان بنوأمية إذا سخطوا على أحد نفوه إليها؛ ياقوت، المعجم، مج٢، ص٤٩٢ .

ونساء، وترك ابنه المكرم أحمد نائبًا عنه باليمن سنة ٤٥٩هـ[١]/ ١٠٦٠م، **فلما وصل** الصليحي إلى المهجم في موضع يعرف بأم الدهيم وبير أم معبد[٢]، تحرك سعيد الأحول وأخوه جياش **لمباغتة** الصليحي ومن معه في المهجم، وهم آمنون مطمئنون، وتمكن الأخوان من قتل الصليحي وأخيه عبدالله والكثير ممن كان معهم من الجند، **وأسروا النساء، ومنهن** زوج الصليحي أسماء بنت شهاب، وحمل سعيد الأحول الأسرى إلى زبيد بعد أن **استولى** عليها في التاريخ المذكور، واستعاد ملك بني نجاح سنة ٤٥٩هـ[٣]/ ١٠٦٠ م.

ذكر الباحث سابقًا أن سعيدًا الأحول أسر أسماء بنت شهاب، وهي زوج على بن محمد الصليحي وأم المكرّم أحمد الذي استنابه والده على الملك، فظلت في الأسر سنة كاملة، أرسلت خلالها رسالة إلى المكرم تستثيره فيها وتقول له: إنها حبلى من الأحول وليست كذلك، فقام المكرّم أحمد بحملة عسكرية استطاع من خلالها أن يهزم سعيدًا الأحول، وأن يفك أمه أسماء من الأسر سنة٤٦٠ هـ/ ١٠٦١ م، وتمكن سعيد الأحول من الهرب إلى **جزيرة** دهلك مرة أخرى، أما المكرم أحمد فأقام في زبيد أيامًا

(١) عمارة؛ المفيد، ص١٦١؛ وهو الأرجح، بينما يرى الوصابي، أن مقتل الصليحي كان سنة ٤٧٣هـ/ ١٠٨٠م، الاعتبار، ص٤٧؛ **ووافقه** ابن الديبع، بغية المستفيد، ص٤٧.

(٢) أم الدهيم وبير أم معبد؛ وهي أم الدهيم بن عيسى والمسجد هو خيمة أم معبد بنت الحوث العبسي، في مدينة المهجم من أعمال وادي سردد؛ ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص٧٥؛ الحضرمي، زبيد ص٣٣.

(٣) عمارة، المفيد، ص١٦١، والخزرجي، العسجد، ص١٠٦-١٠٧، والوصابي؛ الاعتبار؛ ص٤٧-٤٩، وابن الديبع، بغية المستفيد، ص٤٧-٤٨

ثم عين خاله أسعد بن شهاب ؛الذي كان واليًا عليها أيام الصليحي علي بن محمد، ثم عاد المكرم إلى صنعاء فأصيب بمرض الشلل، وترك تسيير الأمور إلى زوجته السيدة بنت أحمد الصليحي، فاستمر أسعد بن شهاب واليًا إلى سنة ٤٧٩ هـ[١]/ ١٠٨٦م ثم استطاع سعيد الأحول أن يدخل زبيد مرة ثانية ويطرد منها أسعد بن شهاب، فاستمر حكم سعيد الأحول إلى سنة ٤٨١هـ[٢]/ ١٠٨٨م، حيث قتل على يد الملكة الحرة السيدة بنت أحمد الصليحي التي استطاعت أن تستدرج سعيدًا الأحول بالاتفاق مع أمير صنعاء الحسين التبعي الذي وعد سعيدًا الأحول بالمساعدة، فلما اشتبك مع قوات السيدة في طريقه إلى جبلة بالقرب من حصن الشَّعِر[٣]، هو وأخوه جياش، لم يساعدهم التبعي بل شارك بقواته مع السيدة، فقتل سعيد الأحول في المعركة، وفر جياش إلى الهند، ونزل التبعي إلى زبيد إثر هزيمة الأحول[٤].

لم ينته الصراع بين النجاحيين السنيين والصليحيين الإسماعليين على السلطة باليمن بمقتل سعيد **ابن** الأحول سنة ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م، بل استمر في أيام جياش الذي لم يستسلم وفر هاربًا إلى عدن، ثم ركب البحر إلى الهند هو ووزيره خلف بن أبي طاهر سنة ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م **واستقرا هناك** حوالي ستة أشهر، **تزوج** جياش **فيها** بهندية ثم رجعوا إلى عدن، وكان جياش

(١) الوصابي، الاعتبار، ص٤٩، وابن الديبع، بغية المستفيد، ص٤٨-٤٩.
(٢) عمارة، المفيد، ص١٦٢، والوصابي، الاعتبار، ص٤٩ .
(٣) الشعر: مديرية من أعمال محافظة إب، وتبعد عنها ٤٥ كم؛ المقحفي، إبراهيم أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة، صنعاء١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص ٨٦٨-٨٦٩.
(٤) عمارة، المفيد، ص ١٦٢، والوصابي، الاعتبار، ص ٤٩، والكبسي، اللطائف، ص٣٨، والحضرمي، زبيد، ص٣٤، والزر كلي، الأعلام، ج ٣، ص ١٠٣.

متنكرًا؛ فذهب إلى جبلة معقل الصليحين وعرف أخبارهم، ثم ترك جبلة واتجه إلى زبيد فجمع أنصاره فتجهز للقضاء على الدولة الصليحية، واستعادة ملكه وملك أبيه الذي سلبه منهم الصليحيون، فكان في زبيد أسعد بن شهاب الذي عرف بتسامحه معهم ومعاملته الطيبة لهم، فقبض عليه جياش ثم عفا عنه وسيره إلى الملكة السيدة بنت أحمد الصليحي، وتسلم جياش دار الإمارة سنة ٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م، وذلك يوم ولدت زوجته الهندية فاتكًا[١] - سيأتي ذكره لاحقًا - فيُعَد جياش المؤسس الثاني للدولة النجاحية. كان جياش بن نجاح يحب العلم والعلماء والشعر والشعراء، وله ديوان شعر ضخم، وترسُّل حسن وله كتاب "المفيد في أخبار زبيد"، **وقد** ساعد ذلك على ازدهار الحركة العلمية والأدبية في عهده[٢]، وليس أدل **على** ذلك من صحبته للعلماء مثل: الحسن بن أبي عقامة الشافعي، الذي عمل جياش بقوله واقتدى بفعله، فاتصف بالعدل واهتم بالحركة العلمية، وقد ساعد على وجود نهضة علمية في زبيد، فكان له أثر علمي إيجابي حتى في أثناء مدة حروبه مع الصليحيين والتي استمرت مدة نصف حكمه.

وقد كانت الحرب بينهم سجالاً، فكان إذا دخل الشتاء نزلت العرب تهامة وارتفع جياش إلى الجبال فيقيم الصليحيون الشتاء في تهامة يجبون خراجها ويعدلون في الرعية ويحتسبون لأهلها بما قبضه منهم جياش في

(١) الوصابي، الاعتبار، ص ٤٩-٥٠، والكبسي، اللطائف، ص٣٨-٣٩.
(٢) ابن الديبع، قرة العيون، ص ٢٤٥، والزر كلي، الأعلام، ج ٢، ص ١٤٨، والمختار، عبدالرحمن احمد، الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجري، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة صنعاء، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص ٨.

الصيف والخريف، فإذا جاء الصيف ارتفع العرب إلى الجبال ودخل جياش إلى تهامة، وبدخوله تنشر المصاحف ويظهر الفقهاء ويتطاول العلماء، ويحسب للرعايا ما قبضه منهم الصليحيون ونوابهم في مدة الشتاء والربيع[١]، فهذا يدل على حب أهل تهامة السنيين للنجاحيين؛ وبغضهم للصليحيين الإسماعيليين.

كان جياش بن نجاح شافعي المذهب متمسكًا به، فقد كتب إلى معلم ولده مايدل على ذلك حيث قال فيها: " . . .، وعلمه كتاب الله فإنه الحبل المتين، ولاترخص له في نسيانه فإنه الخسران المبين، وعلمه قراءة أبي عمر فإنها أشهر القراءات في البدو والحضر، واختر له مذهب الإمام أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي. . . . "[٢]، فكان حريصًا على تنشئة ابنه على اعتناق هذا المذهب ودراسة أصوله.

مات جياش بن نجاح على المذهب الشافعي سنة ٤٩٨هـ/ ١١٠٤م، وكانت مدة حكمه ١٦ سنة، وترك ستة أولاد هم: فاتك ابن الهندية، ومنصور، وإبراهيم، وعبدالواحد، والذخيرة، ومعارك، فخلفه في الحكم ابنه فاتك، وخالف عليه أخواه إبراهيم وعبدالواحد " فجرت بينهما حروب كثيرة ظفر فاتك بأخيه عبدالواحد، ثم عفا عنه وهرب إبراهيم إلى الجبال "[٣] ثم مات فاتك سنة ٥٠٣هـ/ ١١٠٩م، وترك ابنه المنصور بن

(١) ابن الديبع، قرة العيون، ص١٩٠.
(٢) با مخرمه، تاريخ ثغر عدن، ج٢، ص٤٦-٤٧.
(٣) الخزرجي، العسجد، ص١١٢، والوصابي، الاعتبار، ص ٥٤، والكبسي، اللطائف، ص٤٢.

فاتك صغيرًا فملكه عبيد ابيه، فخالف عليه أعمامه إبراهيم وعبدالواحد فاستنجد المنصور بن فاتك بالسيدة بنت أحمد الصليحي، فبعثت المفضل بن أبي البركات لنجدته، فهَمّ المفضل ابن أبي البركات أن يغدر بالمنصور، ولكنه علم باستحواذ الفقهاء على التعكر فترك زبيد لمنصور بن فاتك وعاد إلى التعكر، واستقر أمر زبيد وتهامة لمنصور بن فاتك ولعبيد أبيه، فتولى أمور سياسة الدولة وقتل وزيره أنيس، الذي سيأتي ذكره لاحقًا، واشترى من ورثته جارية مغنية اسمها (علم) فولدت له ابنه فاتكًا، فقتله بالسم وزير له من الأحباش اسمه من الله الفاتكي ٥٢٢هـ[١]/ ١١٢٨م، أما الحرة الصالحة (علم) فكانت جارية من جواري أنيس الفاتكي فاشتراها منصور، ثم ولدت له ابنة فاتك الذي ورث الملك بعد ابيه منصور، وكانت من ذوات العقل والدين والتوفيق والبركة للمسلمين، كثيرة الحج والصدقة، فجعل لها سيدها تدبير المملكة[٢]، فكانت تحب العلم والعلماء وتجلهم وتحترمهم، واشتهرت بالعدل وحسن السياسة وإنصاف المظلومين، فكانت تقوم بالرعية خير قيام.

فأما الوزراء الذين تعاقبوا على الحكم في هذه الدولة فهم على النحو الآتي:

١- أنيس الفاتكي: **وهو** من عبيد جياش بن نجاح، وهو أول من تسلم الوزارة من العبيد الأحباش، وكان جبارًا غشومًا ؛أراد أن يتخلص من سيده

(١) عمارة، المفيد، ص١٦٧، والحزرجي، العسجد، ص١١٣، والوصابي، الاعتبار، ص ٥٤، والزر كلي، الأعلام، ج ٧، ص٣٠٢.
(٢) ابن الديبع، قرة العيون، ص ٢٥٠.

منصور بن فاتك بن جياش، والاستقلال بالدولة، فعمل لنفسه مظلة الركوب وضرب السكة باسمه، لكن مولاه منصورًا شعر بخطر هذا الوزير **فغدر به، حيث** دعاه إلى وليمة في قصر الأمراء، فقبض عليه واجتز رأسه سنة ٥١٧هـ[١]/ ١١٢٣م.

٢- أبو منصور منّ الله الفاتكي: استوزره منصور بن فاتك **بعد مقتل أنيس**، وكان شجاعًا كريمًا، وهو الذي كسر ابن نجيب الدولة على باب زبيد عام ٥١٨هـ/ ١١٢٤م، وكان يجيز الشعراء ويعرض عليهم الأموال، وهو الذي تصدق على فقهاء الشافعية والحنفية بما أغناهم من الأراضي، وهو الذي سور زبيد بعد الحسين بن سلامة، فهذا من حسناته. وأما المآخذ التي أخذت عليه، فأولها: أنه قام بقتل مولاه منصور بن فاتك بالسم سنة ٥١٧هـ/ ١١٢٣م، وملك ابنه فاتك بن منصور ابن الحرة الصالحة (علم)، وهو صغير السن فضبط الوزير منّ الله الفاتكي أمور الحكم بعد ذلك، واستطاع أن يواجه الصليحيين في الكثير من المعارك وانتصر عليهم، وعلى الرغم من الجهود التي بذلها هذا الوزير في النهوض بالحياة العلمية والأدبية، وساعد في انتشار المذاهب السنية في اليمن، **إلا أنه** قتل بالسم على يد إحدى سواري القصر سنة ٥٢٤هـ[٢]/ ١٢٩م.

٣- زريق الفاتكي: انتقلت إليه الوزارة بعد مقتل الوزير منّ الله الفاتكي

---

(١) عمارة المفيد، ص ١٦٨ -١٧٠، والخزرجي، العسجد، ص١١٤، والوصابي، الاعتبار، ص ٥٤، والكبسي، اللطائف، ص٤٢، والفقي، اليمن، ص ١٩٤.

(٢) عمارة، المفيد، ص ١٦٨-١٧٠، والخزرجي، العسجد، ص١١٥-١١٦، والوصابي، الاعتبار، ص ٥٥، وابن الديبع، قرة العيون، ص٢٠٥، والفقي، اليمن، ص ١٩٥، والمختار، الحياة العلمية، ص ١٠.

في أيام فاتك بن منصور، وكان شجاعًا عظيمًا، إلا أنه لم تكن له خبره بالإدارة وتدبير شؤون الحكم فاستقال من الوزارة[١].

٤- مفلح الفاتكي: وزر بعد أن استقال زريق الفاتكي عن الوزارة، **وكان** من أعيان الناس وأكابر الفقهاء، كامل التفقه والأدب والشجاعة والرئاسة الكاملة، وكان يُكنّى أبا منصور، بولد له، وهو الذي قام بالأمر بعد وفاة أبيه مفلح في حصن كرش سنة **٥٢٩**هـ[٢]/ **١١٣٤**م، ولكن الناس تفرقوا عنه فأستأمن منصور على يد سرور ودخل معه زبيد وكان الوزير بها إقبال.

٥- إقبال الفاتكي: "فخلع على منصور بن مفلح (السالف الذكر)، وأنزله في دار ابيه، فلما كان من الغد قبض عليه، وقتل ليلًا بيد الوزير إقبال، فأنكر الملك فاتك بن منصور على إقبال ما فعل، فأخذ إقبال سمًا فسقاه مولاه فاتك بن منصور ولد الحرة (علم) فمات سنة **٥٣١** هـ[٣]/ **١١٣٦**م"، وهذا يدل على أنه كان ظالمًا متمردًا على أسياده، فلما تحقق العبيد من أن إقبال هو الذي قتل سيدهم أبعدوه عن الوزارة وأعطوها للقائد مسرور.

٦- القائد مسرور: هذا القائد تربى في حجر السيدة الصالحة علم، ولم يلبث أن ترعرع في دار الملك والإمارة، فكان اختيار القائد مسرور للوزارة بعد إقبال اختيارًا موفقًا، لأنه كان يتمتع بصفات وخصال حميدة، مثل:

---

(١) عمارة، المفيد، ص ١٧٠-١٧١، والخزرجي، العسجد، ص١١٨، ١٢٢، والوصابي، الاعتبار، ص ٥٦.

(٢) عمارة المفيد، ص ١٧٢- ١٧٩، والوصابي، الاعتبار، ص ٥٨-٥٩، وابن الديبع، الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تح: يوسف شلحد، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ددر العودة، بيروت١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م، ص٦٩.

(٣) عمارة المفيد، ص ١٧٩، والوصابي، الاعتبار ص ٥٩.

العدل، والحلم، والتواضع، والورع، فكان يخرج إلى المسجد بعد نصف الليل ليتفقد الضعيف والمسكين الذي لا يستطيع أن يصل إليه بالنهار، وكان يزور الفقهاء، ويعود المرضى، ويشهد الجنائز، وكان يحضر حفلات الزواج والنكاح، ولا يميز في ذلك بين غني أو فقير، وكان يكرم الفقهاء والمتصدرين في الحديث والنحو واللغة وعلم الكلام، وكان يجلس للنظر في المظالم، وبعد صلاة المغرب يناظر الفقهاء حتى العشاء، ولا يقطع أمرًا من أمور الدولة حتى يشاور السيدة الحرة علم، فاستمر يحكم تهامة وزبيد من سنة ٥٣١- ٥٥١هـ/ ١١٣٦-١١٥٦م دون أن يذكر المؤرخون أية مشاكل أو حروب في عهده(١)، وبلغ من احترام رعيته له أنهم كانوا يخرجون لاستقباله عند عودته من المهجم "فيقفون له على تل فأول من يسلم عليه فقهاء الشافعية والحنفية والمالكية فيترجل لهم دون غيرهم "(٢)

لم يزل على هذا الحال حتى قتل في مسجده بزبيد سنة ٥٥١هـ/ ١١٥٦م، قتله رجل من أصحاب ابن مهدي(٣)، ثم ضعفت الدولة فاستولى عليها ابن مهدي ودخل عاصمتها زبيد، فسقطت دولة بني نجاح سنة

(١) عمارة المفيد، ص ١٨١-١٨٤، والوصابي، الاعتبار، ص ٦٢، والكبسي، اللطائف، ص٥٠؛ الفقي، اليمن، ص ١٩٥-١٩٦، والمختار، الحياة العلمية، ص ١١- ١٢.

(٢) ابن الديبع، قرة العيون، ص ٢٥٤.

(٣) ابن مهدي هو: أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن داود بن محمد بن عبدالله الحميري الرعيني، كان حنفي الفروع خارجي الأصول، ظهر أمره في ساحل زبيد، ومات سنة٥٥٤هـ/ ١١٥٩م،.: الخزرجي، العسجد، ص١٢٨-١٣٥، وابن عبدالمجيد، بهجة الزمن، ص٧٠-٧٥، والواسعي، عبدالواسع بن يحيى، فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، ط٢، مكتبة اليمن الكبرى، صنعاء ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص١٧٣، والحداد، تاريخ اليمن السياسي، ج٢، ص٧٨.

٥٥٤هـ/ ١١٥٩م، على يديه فملك زبيد وأعمالها .[١]

مما سبق يتضح لنا أن ملوك وأمراء ووزراء دولة بني نجاح كان لهم أثر واضح في انتشار المذهب الشافعي في زبيد وتهامة والمناطق المجاورة، وخاصة في عهد جياش بن نجاح الذي كان حريصًا على تنشئة أبنائه على التمذهب بالمذهب الشافعي[٢]، فوجد علماء وشيوخ المذهب أرضا خصبة وصالحة لنشر أفكارهم، فالنجاحيون حالوا دون امتداد المذهب الإسماعيلي وانتشار المذهب الزيدي[٣].

كان لبعض الوزراء دور بارز في انتشار المذهب، وخاصة في عهد كل الوزيرين: منّ الله الفاتكي، ومسرور الفاتكي، وبتشجيع من الحرة الصالحة علم، **التي**كان لها دور بارز في تشجيع العلم والعلماء، **وساعدت** على انتشار المذهب الشافعي، وعلى الرغم من الصراعات التي حدثت بين الوزراء فإنها لم تحل دون انتشار المذهب، حتى سقطت على يد ابن مهدي ودخوله مدينة زبيد سنة ٥٥٤ هـ/ ١١٥٩م لتختفي دولة بني نجاح.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(١) عمارة، المفيد، ص١٨٤ .
(٢) أيمن فؤاد سيد، تاريخ المذاهب، ص ٦٣.
(٣) الفقي، اليمن، ص ١٦٩- ١٩٧.